خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٥/١٠/١٧

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم * الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يوْم الدِّين * إيَّاكَ نعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صِرَاط الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوب عَلَيْهمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

عندما فتح رسول الله ﷺ مكة، كان أبو عامر المدني- من قبيلة الخزرج- معتاداً على الذكر والعبادات بسبب اختلاطه باليهود والنصارى، ولهذا السبب كان الناس يسمونه الراهب لكنه لم يكن نصرانياً دينا. هرب هذا الشخص إلى مكة بعد وصول رسول الله ﷺ إلى المدينة. وعندما فُتحت مكة أيضاً، بدأ يفكر في وجوب تدبير خطة أخرى لإثارة الفتنة ضد الإسلام. وأخيراً غيّر اسمه وأسلوبه وبدأ يعيش في قرية تسمى قباء بالقرب من المدينة. وبسبب غيابه عدة سنوات طويلة، وتغييره هيئته ولباسه نوعا ما، لم يعرفه أهل المدينة عموما إلا أن المنافقين الذين وطّد معهم العلاقة كانوا يعرفونه. فخطّط بالتواطؤ مع المنافقين في المدينة أن يذهب إلى الشام ويحرّض الحكومة النصرانية والقبائل العربية النصرانية على شن الهجوم على المدينة. وقال لهم: ابدؤوا بنشر الشائعات من جهتكم أن الجيوش الشامية على وشك شنّ الهجوم على المدينة. (أي فليشرع المنافقون في المدينة في نشر هذه الإشاعات). فإن نجحت خطتي فسيحدث صدام بين الفريقين، وستقع حرب بينهم، وإلا فربما يبادر المسلمون بالهجوم على الشام بسبب هذه الشائعات، وبهذا تبدأ الحرب بينهم وبين حكومة قيصر، وينجح مخططنا. وفي كلتا الحالتين سنكون نحن المستفيدين. هكذا قال هذا المفسد. وبعد هذا التحريض، ذهب إلى الشام، وبدأ المنافقون في المدينة ينشرون فيها كل يوم أخباراً مثل: قابلتنا قافلة كذا وكذا وأخبرتنا أن الجيش الشامي يستعد لمهاجمة المدينة. وقالوا في اليوم التالي: قابلَنا أناس من قافلة وقالوا إن الجيش الشامي سيغزو المدينة. بدأت هذه الأخبار تنتشر بشدة حتى رأى رسول الله ﷺ أنه من الأنسب أن يخرج بنفسه بالجيش الإسلامي لمواجهة جيوش الشام. كان هذا الوقت صعبا جداً على المسلمين إذ كانت سنة قحط، وكان الحصاد والثمار في العام الماضي قليلاً، والمحاصيل المتوقعة لهذه السنة لم تنبُت بعد، ولم تُحصد المحاصيل

بعد. كان الوقت نهاية شهر أيلول (سبتمبر) أو بداية تشرين الأول (أكتوبر) عندما خرج النبي ﷺ لهذه الحملة. أما المنافقون فكانوا يعلمون أن هذه كانت مكيدتهم الشريرة التي خططوها وأنهم هم الذين دبروا كل هذا المكر لأنه حتى إذا لم يهاجم الجيش الشامي، فسيقاتل المسلمون الشاميين ويهلكون. كانت وقائع معركة مؤتة أمامهم، حيث واجه المسلمون آنذاك جيشاً كبيراً جداً ولم ينجوا إلا بصعوبة بالغة بعد تكبد خسائر كبيرة. والآن أراد المنافقون أن يروا بأعينهم مشاهد مؤتة أخرى يُقتل فيها رسول الله ﷺ -والعياذ بالله- بحسب زعمهم. فمن جهة كان المنافقون ينشرون يومياً أخباراً بأننا علمنا من مصدر كذا أن العدو سيهاجم، وعلمنا من مصدر كذا أن الجيوش الشامية قادمة، ومن جهة أخرى كانوا يخوِّفون الناس بأن مواجهة جيش بهذا الحجم ليست سهلة، فيجب ألا تخرجوا للحرب. كان غرضهم من هذه التصرفات أن يخرج المسلمون لشن الهجوم على الشام، لكن بأقل عدد ممكن حتى تكون هزيمتهم مؤكدة. (أي إذا كان المسلمون بعدد قليل فستكون هزيمتهم مؤكدة)

على أية حال، بعد أن درس النبي ﷺ الظروف والوقائع في ضوء الأخبار الواردة، توصل إلى نتيجة أنه إذا تأخر ﷺ في مواجهة الروم أو أعطاهم فرصة لدخول المناطق الكائنة تحت نفوذ المسلمين، فإن أضرار ذلك ستكون أكبر، لذلك قرر ﷺ رغم الضيق والشدة أنه بدلاً من إعطاء الروم مهلة للتقدم، فيجب الخروج إلى أراضيهم والخوض في معركة حاسمة ضدهم.

ذكر سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه هذه الوقائع في موضع آخر على النحو التالي:

لما وصلت هذه الشائعات إلى الرسول ﷺ، أصدر أمرا بأنه بدلاً من أن يهاجمنا الروم ويغزونا، يجب علينا أن نصل إلى الحدود ونوقفهم هناك. فأمر المسلمين بالاستعداد لذلك. لقد قدمتُ أولاً مرجعاً من كتاب التاريخ. وهذا الجزء اليسير هو ملخص كلام المسيح الموعود عليه السلام.

على كل حال، كان النبي الكريم ﷺ يحافظ على سرية الحملات العسكرية نوعا ما، لكن بعد حملة خيبر، أعلن عن حملة تبوك إعلانا عاما، وحث على الاستعداد مع بيان صعوبات الطريق وكثرة العدو. هذا ما رُوي في صحيح البخاري. وفي الوقت نفسه، أرسل النبي ﷺ رجالاً إلى مكة والقبائل العربية الأخرى لكي ينضموا إلى الجيش. ومن جهة أخرى، أكد على الموسرين أن ينفقوا أموالهم في سبيل الله. أرسل النبي ﷺ رسالة إلى مختلف القبائل للمشاركة في الحرب، وأرسل إليهم سفراءه أيضا كما سبق ذكره. فأرسل ﷺ بُرَيدة بن حُصَيب رضي الله عنه إلى قبيلة بني أسلم، وأبا رُهم الغفاري رضي الله عنه إلى قومه بني غِفار، وأبا واقد الليثي رضي الله عنه إلى قومه لَيث، وأبا جَعْد الضمري رضي الله عنه إلى قومه، وأرسل رافع بن مَكيث رضي الله عنه إلى جُهَينة، ونُعَيم بن مسعود رضي الله عنه إلى أشجع، وبُدَيلَ بن ورقاء وعمرو بن سالم وبُسر بن سفيان رضي الله عنهم إلى بني كعب بن عمرو، وأرسل عباس بن مِرداس رضي الله عنه إلى بني سُليم.

كان في المدينة في ذلك الوقت جوّ من الخوف والرهبة الشديدتين سائدا، وسبب ذلك أن عدواً قوياً قد يهاجم في أي وقت. فبحسب رواية في صحيح البخاري، يروي عمر ﷺ أننا كنا نتحدث فيما بيننا أن ملكاً غسانياً قد نَعَل خيوله لغزونا، أي أنه قد أتم استعداداته بالكامل. وفي رواية أخرى في البخاري، قال عمر ﷺ: كنا نخاف مَلكا غسانيا، وقيل لنا إنه يستعد لمهاجمتنا، وفي هذه الظروف امتلأت صدورنا خوفا. ومع ذلك، ظهر للعيان استعداد الصحابة ﷺ ومشاهد إيمانهم التي تزيد المرء إيمانا.

وقد ورد في تفاصيل ذلك أنه إلى جانب هذا الخوف والرهبة، كانت المدينة تواجه عندئذ مجاعة شديدة، وكانت المحاصيل والثمار على وشك النضج. ففي ظل هذه المجاعة، كان الناس يفكرون ويستعدون لحصد محاصيلهم حتى أُعلن الخروجُ للجهاد. كان الحر شديدا والمسافة تمتد إلى مئات الأميال، وزدْ على ذلك قلة الزاد. مع وجود كل هذه المشاكل، ولكن عندما أعلن النبي ﷺ عن الخروج للجهاد، بدأ الصحابة الذين كانوا يمثلون صورة متجسدة للإخلاص والوفاء بالاستعداد للسفر تاركين محاصيلهم الجاهزة وثمارهم الناضجة وراءهم، مع أن الاستعداد لمثل هذه الرحلة الطويلة لم يكن أمراً سهلاً لهؤلاء الصحابة المخلصين الفقراء. كان رسول الله ﷺ على علم تام بالمصاعب الماثلة للعيان في ذلك الوقت.

حث النبي ﷺ على التضحية المالية بوجه عام، وحث الأغنياء على الإنفاق في سبيل الله وتوفير المطايا قائلاً: "من جهّز جيش العسرة فله الجنة"، أي من سلّح جيش تبوك بالعدة والعتاد والسلاح فله الجنة.

وأول من جاء بالمال بهذه المناسبة كان سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ وجاء بكل ما في بيته من المال وكان أربعة آلاف درهم. فسأله رسول الله ﷺ: هل تركتَ شيئاً لأهل بيتك؟ فقال: تركتُ لهم اللهَ ورسولَه.

وفي رواية ذكر سيدنا عمر ﷺ قصته فقال قال لنا رسول الله: تصدقوا، وكان عندي يومئذ مال، فقلت في نفسي إذا كان لي أن أسبق أبا بكر ﷺ ففي هذا اليوم سأسبقه، فلما أحضرت للنبي ﷺ نصف مالي سألني ماذا تركت لأهلك، فقلت قد تركت لهم مثل ما جئت به. أما أبو بكر ﷺ فكان قد جاء بكل ما كان عنده فقال له النبي ﷺ ماذا تركت لأهلك يا أبا بكر؟ قال تركت لهم اللهَ ورسوله. فكان قد سأله أمام عمر ﷺ فلما قال أبو بكر ﷺ إني قد تركت لهم الله ورسوله قال عمر ﷺ والله لن أقدر على أن أسبقه في شيء.

لقد ذكر سيدنا المصلح الموعود ﷺ أيضا ذلك بكلماته فقال: يقول سيدنا عمر ﷺ إني قد خطر ببالي في أحد أيام الجهاد أن أبا بكر دوما يسبقني واليوم سأسبقه، فتوجهت بهذه الفكرة إلى البيت وأخرجت نصف مالي وجئت به لأقدمه للنبي ﷺ وتلك كانت فترة عصيبة جدا للإسلام والمسلمين،

لكن أبا بكر الصديق ﷺ أحضر كل أمواله وممتلكاته وقدمها بين يدي رسول الله ﷺ. فسأله النبي ﷺ: يا أبا بكر، ماذا تركت لأهلك في البيت؟ فأجاب: تركت لهم الله ورسوله. وعند سماع هذه الإجابة، قال عمر ﷺ: لقد شعرتُ بالخجل الشديد وأدركت أنني بذلت اليوم كل جهدي لأفوق أبا بكر، ولكن أبا بكر سبقني اليوم أيضًا. (فضائل القرآن)

هناك رواية عن تضحية عثمان المالية عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَبَّابٍ قَالَ: شَهِدْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَحُثُّ عَلَى جَيْشِ الْعُسْرَةِ فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ عَلَيَّ مِائَةُ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا[1] وَأَقْتَابِهَا[2] فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ حَضَّ عَلَى الْجَيْشِ فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ عَلَيَّ مِائَتَا بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ حَضَّ عَلَى الْجَيْشِ فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ عَلَيَّ ثَلَاثُ مِائَةِ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللهِ. فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَنْزِلُ عَنْ الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ: مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ، مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ. (سنن الترمذي)

وفي رواية أخرى عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: جَاءَ عُثْمَانُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِأَلْفِ دِينَارٍ... حِينَ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَيَنْثُرُهَا فِي حِجْرِهِ. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَلِّبُهَا فِي حِجْرِهِ وَيَقُولُ: مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ مَرَّتَيْنِ. (سنن الترمذي)

وفي رواية بعث عثمان في تلك المناسبة بعشرة آلاف دينار إلى رسول الله ﷺ فدعا رسول الله ﷺ لعثمان فقال: "غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت، وما هو كائن إلى يوم القيامة، ما يبالي ما عمل بعدها". (شرح الزرقاني)

وبحسب رواية قدم عثمان لهذه الغزوة ألف بعير وسبعين فرسا، وفي رواية دعا النبي ﷺ لعثمان في تلك المناسبة قائلا: "اللهم ارضَ عن عثمان فإني عنه راضٍ." (السيرة الحلبية)

يروي ابن إسحاق أن عثمان بن عفان ﷺ أنفق في غزوة تبوك نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها.

عندما عادت قافلة تجارية لعثمان ﷺ من بلاد الشام محملة بأرباح وفيرة، تولى تمويل ثلث جيش الغزوة كاملًا. وقال: "أنا سأتحمل نفقات ثلث الجيش". فجهز عثمان الجيش بما يزيد عن عشرة آلاف مقاتل، واهتم بأن يكون لكل جندي حتى أصغر الأشياء مثل حزام أيضًا من أمواله. وقد بلغت نفقاته على هذا التجهيز عشرة آلاف دينار، وهذا المبلغ كان منفصلًا عن البعير والفرس التي قدمها. إضافة

[1] الأحلاس (جمع حِلس): كساء يوضع على ظهر البعير ملاصقا لجلده.

[2] الأقتاب (جمع قَتَب): الخشبة التي توضع على ظهر البعير ليجلس عليها الراكب.

والمراد من (أحلاسها وأقتابها): كل ما يحمل على الإبل من أدوات الركوب.

إلى ذلك، قدم عثمان للنبي ﷺ ألف بعير، ومئة فرس، وألف دينار، وسائر العتاد والتجهيزات. وهذه الألف دينار كانت منفصلة عن الألف دينار التي أنفقها على تجهيز عشرة آلاف من الجنود.

وفي تلك المناسبة جاء عبد الرحمن بن عوف ﵁ بمائة أوقية، وفي رواية مئتي أوقية. هذه الأوقية أيضًا وزن يعادل ١٢٢,٤٤ غراما، أي قدم ما يقارب ١٢٢٤٧ غراما أو ٢٤٤٩٤ غراما من الفضة، أي حوالي كيلوغرام والربع أو كيلوغرامين ونصف من الفضة، إذا نظرنا إلى أيامنا هذه. قال: عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهما كانا خزينتين من خزائن الله في الأرض ينفقان في طاعة الله تعالى. لأنهما قدما مالا كثيرا. وبحسب رواية قدم عبد الرحمن بن عوف ﵁ أربعمئة أوقية من الفضة، أيْ ٤٨٩٨٨ غراما تقريبا. وقال البعض قدم تسعمئة بعير أيضا. باختصار ورد ذكر تضحيات كبيرة.

وفي رواية جاء عبد الرحمن بن عوف ﵁ إلى النبي ﷺ وقال: عندي ثمانية آلاف درهم، أمسكتُ أربعة آلاف لأهلي، وأعطي أربعة آلاف لك. فدعا له رسول الله ﷺ بالبركة قائلا: بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت.

قدم عاصم بن عَدي ﵁ ٧٠ وسقًا من التمر، الوسق ستون صاعا، والصاع يكون ثلاث كيلوغرامات، وبذلك سبعون وسقا يساوي ١٢٦٠٠ كيلو غرام تقريبًا.

والذين جاؤوا إلى النبي ﷺ بأموال كبيرة منهم عباس بن عبد المطلب، طلحة بن عُبيد الله، سعد بن عُبادة، ومحمد بن مَسلمة ﵃.

قال المسيح الموعود ؑ: كان زمن ضحى الناس فيه بأنفسهم وأرواحهم كالأنعام من أجل الدين الإلهي، فقد ضحى سيدنا أبو بكر ﵁ أكثر من مرة بجميع ممتلكاته، حتى لم يُبقِ إبرة في البيت. وكذلك سيدنا عمر وعثمان رضي الله عنهما قدما بحسب سعتهما بانشراح وانبساط. وعلى هذا المنوال استعد كل الصحابة بحسب مراتبهم للتضحية بأنفسهم وأموالهم من أجل الدين الإلهي.... ثم قال ؑ: يقول الله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، (الملفوظات، ج٥) وكان الصحابة ينفقون لنيل البر.

قال حضرة المصلح الموعود ﵁: أحيانا باع الصحابة أثاث بيوتهم لسد نفقات الجهاد، بل نجد أيضا أنهم باعوا أحيانا ممتلكاتهم لإنفاق المال على سد حاجات الآخرين أي المجاهدين. فذات مرة خرج النبي ﷺ من بيته وقال إن جيشنا سائر للمهمة الفلانية ولكن المؤمنين ليس عندهم شيء من الزاد لهذا السفر، فهل منكم من ينفق عليهم وينال الثواب. فما إنْ سمعه عثمان ﵁ حتى قام وقدّم للنبي ﷺ كل ما يملك من المال لسد حاجات المسلمين المجاهدين. فقال النبي ﷺ: "عثمانُ اشترى الجنةَ."

لقد قال الخليفة الثالث رحمه الله تعالى ذات مرة في خطبة وهو يتحدث عن التضحيات المالية: "ذات مرة كانت هناك حاجة ماسة لكثير من الأموال من أجل تجهيزات الحرب، وكانت الأيام أيام عسر، والأيام دولٌ، يومُ يسر ويومُ عسر، فكانت تلك الأيام أيام ضيق وعسر، ومست الحاجة إلى المال لسد نفقات الحرب، وذكر النبي ﷺ هذه الحاجة أمام الصحابة، وحثهم على التضحية بأموالهم، فجاء أبو بكر رضي الله عنه بكلّ ماله، وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله، وعرضَ عثمان رضي الله عنه على النبي ﷺ أنه سيتكفل بتجهيز ١٠٠٠٠ صحابي، كما قدم ١٠٠٠ جمل و٧٠ حصاناً. وكذلك قام جميع الصحابة المخلصين بتضحيات مالية بقدر وسعهم، فأتى الله بنتائج طيبة لما ضحوا به".

إنه لمن فضل الله العظيم علينا أن أبناء الجماعة الأحمدية يدركون أهمية التضحيات المالية، وإني أسرد عليكم قصصا بهذا الصدد في مناسبات كثيرة. والحق أن بعضهم يضحون بكل ما يملكون. فعلى الأثرياء أن يجعلوا قدوة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم نصب أعينهم لرفع مستوى تضحياتهم. إن الفقراء ومتوسطي الحال يقدمون هذه التضحيات، كم من الأثرياء الذين يقدمون تضحيات عالية المستوى بفضل الله تعالى، ولكن يوجد بين الأثرياء مَن هم ضعفاء في هذا المجال فيجب عليهم أيضا أن يتقدموا للإنفاق في سبيل نشر الدين، فعندهم الفرصة في هذا الزمان لتقديم هذه التضحيات.

على كل حال، لقد قدم الصحابة قدر وسعهم، قليلا أو كثيرا، وزودوا الجنود الفقراء بالرواحل والسيوف وغيرها من آلات الحرب. ورد أن بعض فقراء الصحابة والصحابيات جاؤوا بمُدٍّ أو مُدّينِ من الغلال وقلوبهم باكية أن ليتهم يملكون أكثر من ذلك فينفقون في سبيل الله، وكان المنافقون يسخرون منهم قائلين إن هؤلاء يريدون أن يهزموا قيصر بهذه الحفنة من الغلال -علمًا بأن المدَّ مكيال بقدر الحفنة- فقال الله تعالى في هؤلاء: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة: ٧٩).

وكان أبو عَقيل رضي الله عنه من الصحابة الذين أنفقوا ما كسبوه بالجِدّ والكَدّ من الأجرة، فإنه ظل طوال الليل يستقي الماء من البئر على الأجرة لأحد الناس، فحصل على صاعين من التمر (الصاع يساوي قرابة اثنين كجم، أي أنه حصل على حوالي ٥ كجم من التمر)، فاحتفظ بصاع لأهله، وقدم صاعًا للنبي ﷺ. هذه غاية ما كان قد استطاع من التضحية.

لقد قال حضرة المصلح الموعود رضي الله عنه: ذات مرة دعا النبي ﷺ للإنفاق في سبيل الله تعالى، فذهب أحد فقراء المسلمين واستقى لأحد الماءَ من البئر على الأجرة، فآتاه نصف كجم أو أكثر قليلا من الحبوب، فجاء بها الصحابي وتبرع بها. مع أن الحاجة عندها كانت إلى الآلاف من الأموال، فضحك المنافقون

وقالوا ساخرين: انظروا إلى تجهيزاتهم للحرب. وكان هذا عند غزوة تبوك التي كانت ضد الروم، وكانت الدولة الرومية عندها كالدولة الإنجليزية اليوم.

علمًا بأنه عندما قال حضرة المصلح الموعود رضي الله عنه هذا الكلام كان الإنجليز يحكمون العالم كله تقريبا- فلمحاربة تلك الدولة الرومية العظيمة جاء ذلك الصحابي بحفنة من شعير، فسخر منه المنافقون، ولما علم رسول الله ﷺ بذلك قال ما يدري هؤلاء ما هي قيمة هذا الشعير عند الله. الحق أن تلك الحفنة من الشعير هي التي جعلت المسلمين ينتصرون وجعلت الروم ينهزمون، ولم يهزم بها المسلمون الرومَ فقط بل هزموا أيضا الدولة الفارسية التي كانت بمثل الدولة الرومية قوةً ومنعة.

ونجد بهذا الصدد قصة عجيبة لصحابي. وكما ذكرتُ من قبل كان الصحابة المخلصون يسعون جهدهم بشكل أو بآخر للمشاركة في تجهيزات هذا السفر وفي هذه التضحية المالية. كان أغنياؤهم يعطون أموالهم في هذا السبيل، بينما كان فقراؤهم الذين لا يملكون مالاً يعملون للناس على الأجرة ويقدمون ما يكسبونه من أجرة زهيدة. وفي مثل هذا الظرف، نجد قصة الصحابي عُلْبة بن زيد رضي الله عنه حيث تصرف تصرفا عجيبا بريئا وفريدا من نوعه ودالًّا على عظيم إخلاصه. كان مخلصا ولكنه كان فقيرا ولم يكن يملك شيئا ينفقه، كما أنه لم يكن قادرا على أن يشهد الجهاد. فقام من الليل فصلى من ليلته ما شاء الله، ثم بكى وقال: اللهم إنك أمرتَ بالجهاد ورغّبت فيه، ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به، ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه حتى أخرج وأقاتل، وإن نبيك قد دعا إلى التضحية بالمال ولا أقدر على ذلك أيضا، غير أني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني فيها في مال أو جسد أو عِرض. ثم أصبح هذا الصحابي مع الناس عند رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: " أين المتصدق بعِرضه هذه الليلة؟ " فلم يقمْ أحد، ثم قال: "أين المتصدق فليقمْ". فقام إليه علبة رضي الله عنه وأخبره الخبرَ. فقال رسول الله ﷺ: " أَبْشِرْ، فو الذي نفسي بيده لقد كُتبتْ في الزكاة المتقبَّلة".

يا له من أسلوب رائع ودال على عظيم إخلاصه وحماسه للتضحية! فإن الله العليم بما في القلوب والخبير بكل الأمور والظروف قد تقبل إخلاصه كما أخبر بذلك نبيَّه ﷺ.

وإن النساء أيضا لم يتأخرن في التضحية بهذه المناسبة، بل قدمت الصحابيات حليّهن لتجهيزات الحرب. فقد قَالَتْ أُمّ سِنَانٍ الْأَسْلَمِيّةُ لَقَدْ رَأَيْت ثَوْبًا مَبْسُوطًا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا، فِيهِ مِسْكٌ وَمَعَاضِدُ وأَسْورة وَخَلَاخِلُ وَأَقْرِطَةٌ وَخَوَاتِيمُ وَخَدَمَاتٌ مِمّا يَبْعَثُ بِهِ النّسَاءُ يُعِنّ بِهِ الْمُسْلِمِينَ فِي جَهَازِهِمْ .

على كل حال، هكذا كان إخلاص المؤمنين الصادقين في هذه المناسبة، أما المنافقون فسعوا بكل ما في وسعهم لإفشال المسلمين، والحق أن سعيهم هذا كان بمنزلة آخر حيلة ومؤامرة من قبلهم، وكانوا

موقنين تماما بنجاحهم فيها. كانوا على يقين بأن المسلمين سوف يخرجون في هذا السفر الطويل إلى الشام من جهة، ومن جهة أخرى كان عندهم يقين شيطاني بأن النبي ﷺ لن يقدر على العودة إلى المدينة، والعياذ بالله. لذا كانوا يبذلون كل جهدهم لتقليل عدد المسلمين الذين يخرجون مع النبي ﷺ، معتقدين أنه كلما قل العدد، كان الجيش أضعف، وكانت هزيمته وموت أفراده مؤكدًا. لذا بدأوا يبالغون في وصف صعوبة الظروف الحالية ومشقات السفر. بدؤوا يخيفون المسلمين وظلوا يغوونهم بالتخلف عن الجهاد بحجج مختلفة، مثل الحرارة الشديدة، وطول المسافة، وقلة وسائل النقل. كما أن معظم سكان المدينة كانوا يعملون في الزراعة، وكانت محاصيلهم جاهزة وكانت هذه المحاصيل في أيام القحط. ثم كانوا يقولون للمسلمين في كل مكان في المدينة: إنكم لا تعلمون مدى قوة وشراسة الجيش الذي ستواجهونه. القتال معهم ليس بالأمر السهل. إنا نراكم إما أن تُقتلوا أو تُصبحوا جميعا أسرى لهم. هذا كان قول المنافقين.

على الرغم من أن هذا الدعاية من المنافقين لم تؤثر على المؤمنين المخلصين ذوي الدرجة العالية، إلا أن بعض ضعاف الإيمان خافوا لدرجة أنهم بدؤوا يقدمون أعذارًا مختلفة للتخلف عن الخروج للجهاد. وكانت الغالبية من هؤلاء الذين قدموا الأعذار من المنافقين أنفسهم. يقول القرآن الكريم عن دعاية المنافقين وأعذارهم للتخلف:

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (التوبة: ٨١-٨٢)

وبحسب الروايات، فقد كان هؤلاء يحضرون عند النبي ﷺ ويقدمون عذرًا ما للتخلف عن الجهاد، ويستأذنونه لعدم الخروج، فكان النبي ﷺ يسمح لهم. كان هناك أكثر من ٨٠ شخصًا قدموا أعذارًا وحيلًا مختلفة للحصول على إذن بعدم الذهاب إلى الجهاد. وكان هؤلاء غير المنافقين الذين كانوا مع عبد الله بن أُبي. لقد كشف الله تعالى في القرآن الكريم حقيقة أعذار المنافقين هذه، موضحًا أن تخلفهم كان بسبب ضعف إيمانهم، وأنهم كاذبون في أعذارهم. وعندما نزلت الآيات بشأنهم، كان فيها تنبيه للجميع في المستقبل أنه عندما يُصدر الإمام نداء أو يدعو إلى شيء، فإن تلبيته تتطلب المضي قدمًا والاستعداد قدر الإمكان للمشاركة بكل الطرق المتاحة. يقول الله تعالى:

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ۚ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * عَفَا اللهُ عَنكَ ۚ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ * لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ

وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ * وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ * لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ ۖ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (التوبة: ٤٢-٤٨)

لقد بين الله تعالى حال المنافقين في هذه السورة، وقال للنبي ﷺ: إنك قد قبلت أعذارهم الكاذبة. لو أنك لم تقبلها ولم تأذن لهم بالتخلف عن الغزوة، لكان نفاقهم قد انكشف للجميع وظهر علانية. إنهم ما كانوا ذاهبين إلى الجهاد على أية حال. على آية حال، يقول الله تعالى إن عدم ذهابهم هو الأصلح، لأنهم لو ذهبوا مع الجيش لارتكبوا أثناء القتال تصرفات تلحق الضرر بالمسلمين. على كل حال، لم تظهر النتائج التي كان يريدها هؤلاء المنافقون. سأذكر المزيد من تفاصيل هذا الموضوع لاحقًا بإذن الله تعالى.

ذكرتُ في الخطبة السابقة الهجوم الذي وقع على مسجدنا في ربوة. وأرجو أن تدعوا للخدام الأحمديين الجرحى أن يمن الله تعالى عليهم بالشفاء التام ويحفظهم جميعا من كل التبعات. فقد تظهر أحيانًا مضاعفات لاحقة من جراء هذه الحوادث. في الوقت الراهن، فإن ثلاثة من الخدام قد أصيبوا بجروح أكثر خطورة ولا يزالون في المستشفى تحت العلاج. أما الخمسة الآخرون فقد تمت معالجتهم وعادوا إلى منازلهم، لكن جروحهم تحتاج إلى وقت حتى تندمل تمامًا. شفاهم الله تعالى جميعا شفاءً كاملا، وحفظ جميع أفراد الجماعة من كل شر وضرر في كل مكان في المستقبل.

بعد صلاة الجمعة سأصلي صلاة الغائب على السيد "سام علي نينا" من جزيرة مارشال. توفي مؤخرا عن عمر يناهز ثلاثا وثمانين سنة في كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية. إنا لله وإنا إليه راجعون.

تعرّف على الإسلام لأول مرة من خلال الداعية الحافظ جبريل سعيد. دخل الإسلام نتيجة جهوده الدعوية في الثمانينيات من القرن الماضي، وقبِل الإسلام والأحمدية. واجه معارضة شديدة، لكنه ثبت على إيمانه بصبر واستقامة عظيمة. ذات مرة عندما وصف أحد أعضاء مجلس الشيوخ الإسلامَ في البرلمان بأنه دين غير قانوني ومرتبط بالإرهاب، كتب السيد سام بجرأة وشجاعة نادرة رسالةً في الصحف المحلية يقول فيها: نحن مسلمون أحمديون وليس لنا أي علاقة بالإرهاب. كان تصريحه القوي هذا سببا لتقوية الجماعة. حاول هذا السيناتور تمرير قانون ضد الإسلام، لكن بفضل جهود السيد سام لم يتمكن من ذلك. كان السيد سام شخصية مؤثرة وبارزة في المجتمع المحلي.

يقول السيد فلاح الدين شمس، نائب الأمير في أمريكا: حظيت بفرصة العمل في جزيرة مارشال لمدة خمس سنوات. كنت أزورها لأن الجزيرة تتبع الولايات المتحدة. دخل السيد سام الأحمدية على يد الحافظ جبريل. في البداية، كانت هناك أربع أو خمس أسر أحمدية فقط وكانت الجماعة صغيرة جدًّا، بل لم تكن مسجلة رسميًّا. لكن من خلال جهود السيد الحافظ والسيد سام، تم تسجيل الجماعة رسميًّا. عندما غادر السيد الحافظ، ظلت الجماعة دون مربٍ لفترة طويلة جدًّا. في هذه الأثناء، تولى السيد سام بنفسه رعاية الجماعة حتى وفاته، واستمر في التبليغ والدعوة، ولم يدَع سمعة الجماعة تتدهور قط. كان يتعاون مع الجماعة بحماس شديد. كلما أرسلت وفود من المركز، كان يساعدها بسخاء وتفانٍ. كان دائمًا يتقدم ويقوم بأعمال مثمرة ومفيدة.

يحتل السيد سام المقام الأول في تأسيس الجماعة في جزيرة مارشال. معظم المبايعين الجدد قبلوا الأحمدية نتيجة جهوده. كان رئيسًا للجماعة في جزيرة مارشال. يقول السيد شمس: عندما ذهبت لتأسيس دار التبليغ في جزيرة "كوس راي"، ساعدني السيد سام هناك. كان له بعض الأصدقاء الذين ساعدوا، وبفضل الله تم شراء مكان وبناء دار التبليغ هناك. ساهم السيد سام بنفس الطريقة في تأسيس دار التبليغ في "قريباتي" وفي مكان آخر أيضًا. يقول: سألت السيد سام مرة: ما السبب وما العمل الصالح الذي استحققت به أن تحظى بفرصة تأسيس الجماعة في ثلاث جزر؟ فأجاب بتواضع عظيم: هذا كله من فضل الله تعالى، لا فضل لي فيه البتة.

يقول السيد قاسم شودري، الداعية في جزيرة مارشال: رغم العقبات والصعوبات، ظل السيد سام ثابتًا على إيمانه. قام هو وزوجته بتضحيات جسيمة. من بين هذه التضحيات، أن وقفت زوجته قطعة أرض، وتبرعت بأرضها الخاصة، وعليها تم بناء أول مسجد في جزيرة مارشال اليوم. أما بخصوص قصة إسلامه بكلماته الخاصة، فهي كما يلي، يقول: في عام ١٩٨٧ كنت أنا وزوجتي، واسمها ''ميري''، نقيم في أحد الفنادق في جزيرة لونج. وفي صباح أحد الأيام خرجنا من الغرفة، فرأيتُ رجلاً إفريقياً طويلاً. سلمتُ عليه فردّ السلام، وتعرّفنا، فعلمتُ أنه الحافظ جبريل سعيد، وكان المبلغ الأول في ميكرونيزيا. على أية حال، استمرت اللقاءات بيننا وتقوّت العلاقة، وبدأ هو يدعوني إلى الإسلام، وبيّن لي آيات من الكتاب المقدس، وقال إن في الإنجيل بشارات بقدوم نبي بعد عيسى ، وقد أدهشني أن هذه ليست آية واحدة بل آيات عديدة، حتى إن عيسى نفسه يقول في العهد الجديد: عليّ أن أذهب، وسيُرسل بعدي آخر. (يوحنا ١٦: ٧)

يقول: لم أسمع بهذه الحقائق من قبل، وشرحها لي الحافظ جبريل بكل وضوح، وكان يستشهد بكل شيء من الكتاب المقدس، حتى شرح الله صدري، ورأيتُ الحق، ومال قلبي إلى الإسلام، فاعتنقتُ

الإسلام. ويقول: عندما اعتنقتُ الإسلام وذاع الخبر، قال بعض المسؤولين الحكوميين: "لن نسمح للإسلام أن ينتشر في جزيرة مارشال." فاتصلتُ بالحافظ جبرائيل لكنه كان قد غادر المنطقة، فقال لي: "لا تقلق، الله سيفتح لك الأبواب."

ثم يقول: لقد فتح الله الأبواب فعلاً، ففي يوم من الأيام بينما كنتُ في البيت جاء رجل من مكتب النائب العام وقال لي: "لقد تمت الموافقة على تسجيل جماعتكم." بينما كان بعض الكبار يحاولون المنع، جعل الله الأسباب تتيسّر حتى نالت الجماعة التسجيل الرسمي، وقد أرسلتُ نسخة من ذلك فورًا إلى الحافظ جبرائيل.

ويقول: مع مرور الوقت، أدركتُ أن الأحمدية متميزة عن سائر المسلمين، وكنتُ فخوراً جداً بذلك. كان قلبي دائماً يهمس لي بأنني أحمدي مسلم، وشعرت بالفخر لذلك. يقول: لم يأتِ أي مبلغ إلى هنا لمدة عشرين عاماً، وكنتُ قلقا للغاية. فقال لي الحافظ جبريل: "استمر في مراسلة خليفة الوقت الحالي، وسيجعل الله لك سببًا."

وبالفعل، في عام ٢٠٠٤ وصلتني توجيهات من المركز بأن شخصاً غريباً سيأتي، فاذهب لاستقباله في المطار. يقول: ذهبتُ إلى المطار، وبعد قليل خرج رجل مبتسماً وسألني عن اسمي، فقلت: "سام." فقال لي: "اسمي كوثر." وكان هو الأستاذ إنعام الحق كوثر. ومنذ ذلك اليوم أصبحنا كالأخوين. سافرنا معاً إلى سَرَاي وكوسَرَاي وبومبي، وأقمنا هناك أسبوعًا، وعندما افترقنا كان شعورنا كأننا نعرف بعضنا منذ زمن طويل وكانت هذه هي الأخوّة الإسلامية الحقيقية.

يقول: بفضل الله، بعد أن أصبحتُ مسلمًا، امتلأ قلبي بالسكينة وروحي بالاطمئنان. لقد غيّرتني الصلاة تماماً، حتى إن زوجتي لاحظت هذه التغيّر فيّ. ومنذ ذلك الوقت، كلما احتجتُ شيئًا، دعوتُ الله، فاستجاب لي فوراً. لقد رأيتُ نُصرته بأمّ عيني مرات عديدة، وكنتُ في كل دعاء أحمده وأشكره.

وتقول حفيدته "جوليا": كان مسلمًا مخلصًا جدًّا، يستمد من إيمانه الطمأنينة والقوة. كان يقضي معظم وقته في العبادة، ويحب تلاوة القرآن الكريم حبًّا شديدًا، وكان يقرأ كتبًا إسلامية متنوعة، وكثيرًا ما كنا نجده غارقًا في التفكير العميق والتأمل.

نسأل الله تعالى أن يغفر له ويرحمه، وأن يوفق أفراد أسرته الذين لم يعتنقوا الأحمدية بعد أن يلهمهم الله ذلك، حتى تكون ذريته من الأحمديين.

*****